(١)

خطبة عيد الأضحى المبارك ١٤٣٩هـ

الحمد لله رب العالمين ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر كبيرًا ، والحمد لله كثيرًا ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً . الحمد لله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعزّ جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّينِ ، **وبعد** :

فإن لكل أمة من الأمم عيدًا تفرح به نفوس أبنائها ، وتنشرح له صدورها ، وتبتهج به أفئدتها ، والأعياد في الإسلام أيام خير وبركة ، تأتي بعد توفيق الله (عز وجل) لأداء ركنين عظيمين من أركان الإسلام ، هما ركن الصيام وركن الحج ، وكأن الفرحة الحقيقية بالعيد لن تتحقق إلا لمن أطاع الله (عز وجل) ، وامتثل أمر رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، فيأتي عيد الفطر بعد صيام شهر رمضان ، وقيام ليله ، ويأتي عيد الأضحى بعد أداء ركن الحج الأكبر ، وهو الوقوف بعرفة ، فعَنْ أَنَسٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَدِمَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقَالَ : إِنَّ اللهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا : يَوْمَ الْفِطْرِ، وَيَوْمَ النَّحْرِ .

وهذا يوم عيدنا الأكبر يوم الأضحى الذي تتجلى فيه مظاهر الفرح والسرور بنعم الله (عز وجل) وفضله على الإنسان ، ففيه يفرح حجاج بيت الله الحرام بأداء مناسكهم ، وقضاء تفثهم ، وتقديم قربانهم لله (عز وجل)، قال تعالى:{ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ}، ويفرح معهم بالعيد عامة المسلمين

ويشاركونهم الفرحة بذبح أضحيتهم ، وإدخال السرور على أبنائهم ، وأرحامهم ، وفقراء المسلمين ، فرحًا لا يُنتهك فيه حرمة من حرمات الله ، فعن أم المؤمنين عَائِشَةَ (رضي الله عنها) أَنَّ أَبَا بَكْرٍ (رضي الله عنه) دَخَلَ عَلَيْهَا وَالنَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عِنْدَهَا يَوْمَ فِطْرٍ أَوْ أَضْحَى، وَعِنْدَهَا قَيْنَتَانِ تُغَنِّيَانِ بِمَا تَقَاذَفَتْ الأَنْصَارُ يَوْمَ بُعَاثٍ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : مِزْمَارُ الشَّيْطَانِ ؟ مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (دَعْهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ ، إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا، وَإِنَّ عِيدَنَا هَذَا الْيَوْمُ).

وعيد الأضحى جمع الله فيه شرف الزمان والمكان لحجاج بيته الحرام ، ولأهل الإيمان كافة ، فقبله يوم عرفة ، وهو يوم مغفرة الذنوب والعتق من النيران ، حيث قَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِذَا كَانَ يَوْمُ عَرَفَةَ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ ، فَيَقُولُ : انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْثًا غُبْرًا ضَاحِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (فَمَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ عَتِيقًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ) ، وبعده أيام التشريق الثلاثة، وهي أعظم الأيام عند الله (عز وجل)، حيث يقول نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنَّ أَعْظَمَ الأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمُ النَّحْرِ ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ وَهُوَ الَّذِي يَلِيهِ).

إنه عيد التضحية والبذل والعطاء بالنفس والمال ، في سبيل مرضاة رب العالمين، فهذا خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام) بعد أن بلغ من الكبر عتيًّا رزقه الله تعالى ولدًا أطاعه فيما لا يطيع فيه أحدٌ أحدًا ، حيث رأى إبراهيم (عليه السلام) في منامه أنه يذبح ولده الوحيد إسماعيل ، ورؤيا الأنبياء وحي من الله (عز وجل) ، قال تعالى: {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ}. انظر إلى عظمة الابتلاء وشدته ، حيث يؤمر الأب بذبح ولده الوحيد ، بعد أن بلغ معه السعي ، وفرح

به قلبه ، وأصبح قرة عين أبيه وسنده ، ثم يأمره سبحانه بذبحه ، فما كان من الابن إلا أن قال:{ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} .

وانظر أيضا إلى حسن تأدب الابن مع أبيه بقوله : يا أبتِ ؟! إنها نفس الكلمة التي كان يقولها إبراهيم (عليه السلام) في خطابه لأبيه عند دعوته لعبادة الله وحده، فكان يبدأ دعوته أيضًا بقوله:{ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا}، ثم يبلغ حسن التأدب والرفق مع الأب غايته حين يقول له:{يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا}.

وفي هذا الموقف دعوة لجميع الأبناء إلى ضرورة مراعاة المشاعر الإنسانية مع الآباء ، ولا عذر لهم في العقوق أبدًا حتى ولو كان الوالد كافرًا ، أو حاول أن يحمل ابنه على الكفر ، وهذا ما أكد عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: { وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا}.

وسنة الله تعالى في الخلق أن الجزاء من جنس العمل ، فكما كان الخليل إبراهيم (عليه السلام) أنموذجًا طيبًا للأدب والبر مع أبيه ، فقد رزقه الله (عز وجل) ولدًا سارَ على درب أبيه في البر وحسن التأدب ، وهو سيدنا إسماعيل (عليه السلام) ، فكان نعـم الولد طاعةً وانقيادًا ، إنه منتهى الامتثال والاستسلام لأوامر الله (عز وجل)، فكل منهما - إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) - ضرب مثالا رائعًا في الطاعة والتضحية ، مع شدة البلاء وتنوعه.

ولأن الفرج ملازمٌ للشدة ، والمحنة تأتي بعدها المنحة ، فقد جاءتْ عطاءات الله (عز وجل) متتابعة ، بعد أن أظهرا لله ما في قلبيهما من الاستسلام لأمره تعالى دون تخاذل، أو تردد ، أو تباطؤ ، فكانت الشهادة الربانية للبلاء بالشدة الظاهرة ، ولهما بالإحسان وحسن المراقبة ، وكان الفداء من الله (عز وجل) لإسماعيل بذبح عظيم ، قال تعالى :{فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ *وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ * كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ}. وقد أبقى الله تعالى لإبراهيم (عليه السلام) الذِّكرَ الحسن، والثناءَ الجميل إجابةً لدعوته ،{وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ}، فصارت الأضحية سنة إبراهيم (عليه السلام) ، وسنة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قولا وعملًا ، فقد ضحى (صلى الله عليه وسلم) بكبشين أقرنين أملحين، وقال: (ضحوا فإنها سنة أبيكم إبراهيم) .

لقد شرع الله (عز وجل) الأعياد لحكم عظيمة ، وأهدف سامية ، فالأعياد تقوية للروابط الاجتماعية بين الأقارب والأرحام ، والناس جميعًا ، وتطهر قلوبهم ونفوسهم من بواعث الشر ، وخطوات الشيطان، وتنشر المودة والرحمة ، وترسخ مفهوم الأخوَّة، ففي حـديث النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى ، فَأَرْصَدَ اللَّهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، فَقَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ ، قَالَ: (فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ (عَزَّ وَجَلَّ) قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ).

كما شرع الله (عز وجل) الأعيـاد لنشـر المحبة والتواد بين الناس ، ونزع الغـل

والحقد والحسد من النفوس ، ففي العيد تصفو النفوس ، ويتبادل الناس التهنئة بالأعياد ، وتتلاقى الأيدي والقلوب والأبدان بالتصافح والسلام ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه)، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ) .

وفي العيد يتواصل الإنسان مع أهله وجيرانه ، وذوي رَحِمه ، فيعين فقيرهم ، ويقضي حاجتهم ، ويفرج كربَهم ، ويدخل الفرحة والسرور على المرضى والفقراء واليتامى والمساكين ، يقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ نَفَّسَ عن مؤمنٍ كُربَةً مِن كُرَبِ الدنيا نَفَّسَ الله عنه كُرْبةً من كُرَب يوم القيامة).

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم

* * *

الحمد لله ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر كبيرًا ، والحمد لله كثيرًا ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً. الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا عبده ورسوله النبي الصادق الأمين ، اللهم صلّ وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن يوم العيد ينبغي أن يكون رحمةً كله ، وخيرًا كله ؛ لأنه من أعظم الأيام وأفضلها عند الله (عز وجل)، كما أخبرنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) بقوله : (إِنَّ أَعْظَمَ الْأَيَّامِ عِنْدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتعَالَى يَوْمُ النَّحْرِ ، ثُمَّ يَوْمُ الْقَرِّ – يعني اليوم الذي يليه-).

وفيه شرعت الأضحية ، وهي شعيرة من شعائر الله، وسنة من سنن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، إحياء لذكرى الخليل وولده (عليهما السلام) ولتكون وسيلة وسببا في التوسعة على النفس والأهل وإكرام الجيران والأقارب والأصدقاء والتصدق على الفقراء والمساكين ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ أَوَّلَ ما نَبْدَأُ في يَوْمِنَا هذا أَنْ نُصَلِّيَ، ثُمَّ نَرْجِعَ فَنَنْحَرَ، فَمَنْ فَعَلَ ذلك فَقَدْ أَصابَ سُنَّتَنَا، وَمَنْ نَحَرَ قبل الصَّلَاةِ فَإِنَّمَا هو لَحْمٌ قَدَّمَهُ لِأَهْلِهِ ، ليس من النُّسْكِ في شَيْءٍ) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ مِنْ عَمَلٍ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِهْرَاقِ الدَّمِ إِنَّهَا لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَشْعَارِهَا وَأَظْلَافِهَا وَإِنَّ الدَّمَ لَيَقَعُ مِنَ اللَّهِ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ مِنَ الأَرْضِ فَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا).

وينبغي أن نجعل من ذبح الأضحية مظهرًا من مظاهر عظمة الإسلام ، وعنوانًا لنظافته ورقيه وحضارته ، فلا ينبغي أن تذبح في الأماكن العامة ، ولا في مداخل العمارات ، والبيوت ، ولا في الشوارع ، ولا أمام المساجد والمستشفيات ، مما يتسبب في أذى الناس وضررهم ، وانتشار الأمراض بينهم ، لأن الإسلام دين حرم الضرر بكل أشكاله وصوره ، فقَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ) ، والنبي (صلى الله عليه وسلم) أمرنا بإماطة الأذى ورفعه من طريق المسلمين ، وعدَّ ذلك من شعب الإيمان ، فقَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ).

ويجب أن نعلم جميعًا أن فرحة العيد لن تكتمل إلا بالتكاتف والتكافل، والتعاون والتواصل، والبر وصلة الأرحام، والإحسان إلى الفقراء واليتامى والمساكين ، وأن يرحم القويُّ الضعيف ، ويعطف الغنيُّ على الفقير ، فالإسلام حريص على بناءِ مجتمعٍ

أخلاقيٍّ متعاون على البر والتقوى ، هكذا تكتمل فرحتنا بالعيد ، وهكذا يكون شكرنا لله سبحانه على ما تفضل به علينا من نعم ومنن ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى).

اللهم هب لنا من الخيرات والبركات ما تسعد به قلوبنا

واحفظ اللهم مصر من كل مكروه وسوء

وكل عام وأنتم بخير .